دراسة في مضمون النقوش الكتابية على عمائر الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى (٩١٥-١٠٦٩هـ/١٥١٠-١٦٥٨م)

محمد السيد أبو رحاب

استغرق حكم الأشراف السعديين للمغرب الأقصى مدة تزيد عن قرن ونصف من الزمان، تمكنوا خلالها من تحقيق كثير من الانتصارات السياسية والحربية من أهمها الانتصار على البرتغال في معركة وادي المخازن الشهيرة عام (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، وضم بلاد السودان الغربي إلى سيطرتهم، كما شيدوا مجموعة رائعة من العمائر الدينية والمدنية والحربية، مازالت نماذج كثيرة منها قائمة حتى الآن بحالة جيدة.

وقد نقشت على واجهات هذه العمائر كثير من الكتابات التي تنوعت في مضامينها، ما بين آياتٍ قرآنية وعباراتٍ دعائية ودينية وأشعار، وفضلاً عما تتميز به هذه النقوش من مميزات خاصة تفيد الدراسات الآثارية من الناحية الفنية، فإنها تفيد في مجالات أخرى- وهو ما نهدف إلى إبرازه في هذا البحث- كالدراسات التاريخية، والإعلام والدعوة فائدة كبيرة، إذ أنها استخدمت كوسيلة دعائية وللنصح والإرشاد في وقت كانت فيه وسائل الإعلام محدودة للغاية.

كذلك تكشف مضامين هذه الكتابات عن تدين الأشراف السعديين وصحة عقيدتهم، وجهاد المحتل المسيحي بالسلاح والكلمة، وحرصهم على محاربة البدع والانحراف عن الدين، ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق الرسالة المحمدية، وتوضيح تعاليم الإسلام لرعاياهم وإرشادهم بشتى الطرق والوسائل المتاحة آنذاك.

ومن هذا المنطلق نقشت هذه النصوص المختارة في أماكن واضحة على واجهات عمائرهم، وبخاصة المساجد الجامعة والمدارس والزوايا والسقايات، وهى منشآت عامة الارتفاق لجميع المسلمين، كما زاد الاهتمام بحسن عرض هذه الكتابات؛ لتسهيل قراءتها وتحقيق أكبر فائدة مرجوة منها، بوصفها وسيلة اتصال مهمة بالجمهور في ذلك الوقت.